

"الإبداع": (١)

(١) قال د. عبده زايد: "الإبداع" (*) الأدبي.. كالإبداع في أي فن من الفنون، تقف ورائه موهبة لا بد منها.. لكل مُبدع.."

- كتاب (خصوصية الإبداع في الشعر الإسلامي المعاصر) د. سعد الدبل ص ٢٣-
..وفي التفاتة للشيخ "الأديب" علي الطنطاوي -رحمه الله-، تنبيه جميل في مثل هذا البيت
-لشاعرنا -.. حين قال: وقفت وما في الموت شك لواقف

إن المتنبّي لو وقف هنا.. ولم يُكمل.. لما استطاع أحد "غيره" الإكمال - رحمه الله -
ثم أتم: بـ "كأنك في جفن الردى وهو نائم".

- (*) ..وإذا تكلمنا (ملياً) عن الإبداع، نقول: من المعلوم أن السجع موطنه "الثر" - وعلى هذا
اشتهر - وخذ ممن أعطي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم إذ قال: (ألا أخيركم
بشراركم؟ قالوا بلى يا رسول الله، قال: من أكل وحده ومنع رفته، وضرب عبده).
و..مثلاً/ قال أبو الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه - مُعرِّفاً التقوى:
(العمل بالتنزيل، والخوف من الجليل.. والاستعداد ليوم الرحيل).

لكن تنظر لعطاء شاعرنا - وهو ممن أوتي ناصية البيان - فتجده ينظم بسجع بديع.. يقلّ
مثله:

فنحن في جدل، والروم في وجلي والسبر في شغلٍ، والبحر في خجل
- قال علي السنوسي.. يثني على الملك عبد العزيز:

ها نحن في عصره (الزاهي) على دعة وصفو عيش رغيد.. ما به كدر:
فالدار عامرة.. والسحب ماطرة والأرض زاهرة.. والدين مُنتشرٌ-

ومنه - أي السجع - ما يسمى بالترصيع، كقول أبي صخر الهذلي:

سود ذوابها، يبيض ترائبها محض ضرابها،.. صيغت على الكرم
ثم نقول: ما أحلاه إذا كان على البديهة، وبلا تصنع.

وما الدهر إلا من رُواة قصائدي .. إذا قلت شعراً أصبح الدهر مُنشداً^(١)
لا أجد - مع قلة الاطلاع - كجميل إيجاز الأديب عبد الله خياط^(٢):
" .. أي شاعر من مطلع التاريخ .. وحتى يأتي أمر الله ويُنفخ في الصور ..
إنما يهّمه من كل ما يقول وينشئ من الشعر:^(٣)
أن يحفظ له الناس قصيدة، أو بضعة أبيات، أو حتى بيتاً واحداً^(٤) ..،
ولقد حفظ الناس - كل الناس على مختلف مستوياتهم واختلاف
عصورهم - الكثير من روائع المتنبي ..

^(١) وصف عمر بن عبد العزيز - رحمه الله - جمال البيان بـ "السحر الحلال" ..
وأخذ أبو تمام هذه الكلمة فأدخلها .. في وصف شعره - مع عدم إغفال مبالغته في البيت الثاني -:
فأين قصائد لي فيك تَأبى وتَأنف أن أتُنَّ وأن أزالا
هي (السحر الحلال) لِحْتِيهِ ولم أرَ قبلها محرراً حلالا
.. ولأبي تمام/ استرسالاً - وهذا من الإبداع أيضاً - : اتفق مرة أن اعترض أحد الأدباء
على الاستعارة في قوله:

لا تسقني ماء الملام فإني صبُّ قد استعدبتُ ماء بكائي
وأرسل خادمه يقول: إن مولاي يرجوك أن تملأ هذه الكأس من ماء الملام!، فقال حبيب:
قل لمولاك يتفضل أولاً بإرسال ريشة من جناح الذل.

^(٢) من كتابه "جواهر المتنبي" ص ٣١٧، باختصار.

^(٣) قال أبو الحسن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - "قيمة كل امرئ ما يُحسن".

^(٤) وصدق الله العظيم حين أغوى إبليس أبانا آدم بالشجرة .. في الجنة، بإحدى ميزتين
يعمل المرء لئيلهما "شجرة الخلد" أو "ملك لا يبلى" - كما في سورة طه،
الآية ١٢٠ -

....

يشهد له.. بذلك: كثرة استعاراتهم واستشهاداتهم، وفي مختلف المواقف والمناسبات بما أبدع".

.. ف د ع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الطائر المحكي..^(١) والآخر الصدى
... أجمع سواد أهل الأدب أنه لم يبلغ "في الشعر" كشأنه!

- ما نال أهل الجاهلية كلهم شعري،.. ولا سمعت بسحري بابل-
إذ/ ذاع من شعره "الحكم" التي علقت على الألسن بالوقائع والمناسبات، وإنك لتعجب.. حين تسمع من أحد "النشء" بيته المشهور:

ما كل ما يتمناه المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
أو حين تسمع من أحد "العامة":
إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

...

قال السيد أبو الحسن:

واعلم أن المجد شيء مخلد وأن الفتى والمال.. غير مخلد
^(١) .. ولما لا يكون؟ .. وهو ينظم:
إذا كان ما تنويه فعلاً مضارعاً مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم
أو..

سقاك وحيانا بك الله إنما على العيس نور، والحدور كمامه
قفي.. تغرم الأولى.. من اللحظ مهجتي بثانية.. والتلف الشيء غارمه..
أو..

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقا
أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني،.. وبياض الصبح يغري بي

أو حين تسمع من أحد "العباقرة":

تعبت في مرادها الأجسام^(١)

وإذا كانت النفوس كباراً

أو حين تسمع من "مغترب":

وشرُّ ما يكسب الإنسان ما يصم^(٢)

شرّ البلاد مكان لا صديق بها

أو حين تسمع من "باسق الذات":

وخير جليس في الزمان كتاب

أعزّ مكان في الدنيا سرجّ سابع

أو حين تسمع لـ "هائم":

إن القليل من الحبيب كثير

وقنعت باللقيا وأول نظرة

واسترسالاً/ إن أبا الطيب لم يلتفت إلى "الغزل"^(٣) وإلا ما ظننت أن "ابن

أبي ربيعة"^(٤) تسمو غزلياته.. أمام هذا الحكيم "القاتل" - مُحذراً.. من

الغرام وسُبله -:

(١) وقد روي بـ "الأحلام" .. أي العقول بدلاً من الأجسام.

(٢) وبالمناسبة/ لا تخلو معظم قصائده من الحكيم وشكوى الزمان "كما يقول":

ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً فلا أشتكى فيها ولا أتعجب

علّق الأديب علي العيسى على مراد مطلع مثل هذا البيت بـ:

كانت العرب تقول (ليت شعري) أي: تمنوا أن يسعفهم الشعر في التعبير عن اقتضاء

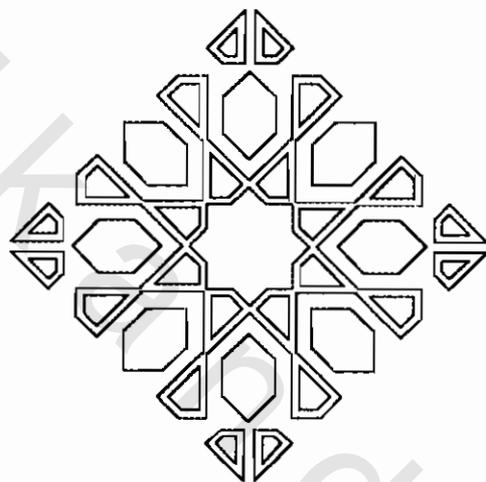
الحاجة.. إلخ.

(٣) انظر ما يأتي ص ٦٩ وما بعدها.

(٤) - القاتل:

وقديماً كان عهدي .. وفنوني.. بالنساء -

فمن شاء فلينظر إليّ فمنظري نذير إلى من ظن أن الهوى سهل
وهاهو يجمع المعاني:
نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال



و.. " القصيدة " :

لا يشذّ - أبو الطيب - عن القاعدة العريضة "من الشعراء" بإنشاء
القصيدة.. فمن "الأطلال":

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت.. وهن منك أو آهل
و..:

أثلث.. فإنا أيها الطلل نكي.. وترزم تحتنا الإبل
إلى "الصبا.. وربوعه..":

ذكر الصبا ومراتع الآرام جلبت حمامي قبل وقت حمامي
أو ".. الحبيبة":

هام الفؤاد بأعرابية سكنت.. بيتاً من القلب لم تمتد له طنبا
ثم.. "النفس":^(١)

^(١) وذلك عن "حاله" وقت النظم.

".. قيل له - لما مدح ابن العميد.. به هذا المطلع

بادِ هواك.. صرت أم لم تصيرا ونكاك.. إن لم يجرِ دمّك.. أو جرى
... كم غرّ صبرك.. وابتسامك صاحباً لما رآه، وفي الحشا.. ما لا يرى ا -

ما أسرع ما تغيرت؟، فقال: هذه حال..، وتلكم حال !! "

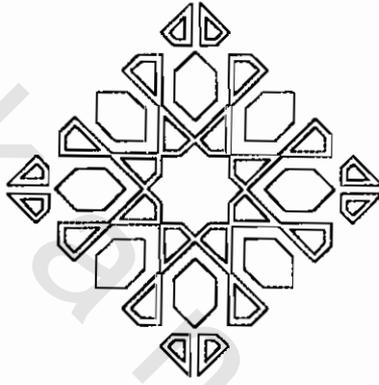
وقياساً على هذه "الحال" .. تجده - مثلاً - يقول،

لا تلقى دهرك إلا غير مكوث إلخ...

ثم ينظم - في وضع.. آخر -:

والهم يخترم الجسمم لحافة إلخ...

أسري في ظلام الليل وحدي كأنني منه في قمر منير
ف.. متن "القصيدة" - الموضوع - ثم "الختم" ..، وهذا في المُجمل
- عدا المراثي أو الهجاء.. أو بعض قصائد المعارك مع سيف الدولة.^(١) -



^(١) مثلاً "على قدر أهل العزم تأتي العزائم".

بالمناسبة: هذا المطلع "المنظوم" حكمة.. ومنطق وتجربة واسعة.. يُستأنف إلى الفهم المباشر دون غموض.. ولا إبهام، إذ هو حديث العارف.. الشارح.

فـ "النموذج":

نظم "المتنبى" قد يكون - وخاصة في حالات الصفاء والانفراج - من أعذب^(١) الشعر وأجمله..، راجع مثلاً:

كم قتيل كما قتلت شهيداً بياض الطلى.. وورد الخلدود
أو..:

أعيداً نرى، أم زماناً جديداً ..أم الخلق بشخصك حياً أعيداً
أو..:

أيدي الدمع أي دمٍ.. أراقها وأي قلوب هذا الركب شاقا
أو..:

من الجآذر في زيّ الأعراب همر الخلى والمطايا.. والجلايب
أو..:

مغاني "الشعب" طيباً في المغاني بمنزلة "الربيع" من الزمان
.. والعكس - حين تهيج نفسه، وتولّعه أشجانه، .. أو تعود ذكرى
مآسيه - "وخاصة في رثاء جدته":

ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذمّاً فما بطشها جهلاً.. ولا كفها حلماً
وعد - أيها القارئ - ل:

لا افتخار إلا لمن لا يضام

(١) وقد فند الرواة - النقاد - القول المشهور / المنسوب / لـ الشاعر الأموي جرير أن:
(أعذب الشعر أكذبه).

أو.. /أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر
أو.. / فؤاد ما تسليه المدام^(١)
أو.. / أفاضل الناس أغراض لذا الزمن
أو.. / واحر قلباه .. ممن قلبه شبم^(٢)
أو.. / بما التعلل!، لا أهل.. ولا وطن
أو "الحمى"^(٣) / ملومكما يجلب عن الملام
أو.. / أماتكم قبل موتكم الجهل!
أو.. / صحب الناس قبلنا ذا الزمانا
أو.. / عيد بأية حال عُدت يا عيد!^(٤)

(١) أي: الخمر.

(٢) شبم: أي بارد..، وهي في عتاب أمير حلب "سيف الدولة".

(٣) .. جاء في الحديث عنها .. - إذا أصابت المؤمن في ليلة - قوله صلى الله عليه وسلم :
(ذاك نصيب المؤمن من النار) .

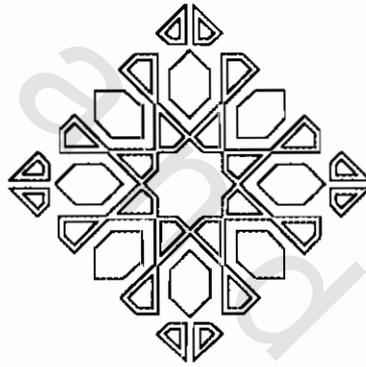
(٤) وأذكر لأدينا (د. حسن الهويمل) نثر لا يخلو من تعجب في قراءته لمطلع هذه القصيدة
حين قال: أحرق أبو الطيب أوراق المتفائلين بالمناسبات السعيدة.. - يعني باستفهامه هذا-
- وقال حمد الحجي.. موازياً المقال، ومواسياً للحال:

عيدُ الغريب بِمقامٍ وانبعثت أسي .. ونظم على رويها (د. نذير العظمة):
ودمعه - إن شدا الشادون.. - تغريدًا

لا الكرم كرم ولا العنقود عنقود عيد مضى ومضى من بعده العيد
ولوقه تُدرف الدمع.. المواعيد .. فكيف لا تطلع الأزهار في فنن
وكان من قبل أيكاً وهو أملود جار الزمان على عودي فقصفه

لتكتشف ما.. لدى هذا "الشاعر" من خزائن الدر، وودائع الجواهر.. بما
يفيض به عبير: "نظمه"!

إذ.. حين تصافح "ديوانه" ليأخذ لبابك سبكه للكلمات واستخراجه
للمعاني وبراعته التصويرية، وحسن تمثيله، وبديع طباقه، ورقة ألفاظه،
وجميل البناء لديه، ونشوة في التعبير.. إلخ،^(١) كل هذا مما يتخلل أبيات
قصيده..



(١) كقولہ.. لأبي العشائر -.. مُعرّضاً الفرق بين مدحه، ومدح غيره:

ليس قولي في شمس فعلك كالشمس	س، ولكن كالشمس في الإشراق
(شاعرُ المجد) خدنه شاعر اللف	ظ، كلاناً رب المعاني الدقاق
..لم تزل تسمع المديح.. ولكن	صهيل الجياد غير النهاق

"الأطلال"

غني عن الأوطان.. لا يستخفي
إلى بلد سافرت عنه إياب
.. أو - أيضاً:-

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا
لفارقت شبيبي موجه القلب باكياً
.. لم يقف المتنبي على الأطلال ليكي "على ماضٍ تولى"؟!^(١)..
بل من قبيل التذكرة^(٢) - لا الحنين والتمني بعودته - :

لا تحسبوا ربكم ولا تطلوه
كأنني بهذا الفارس المغوار، قائلاً:
أول حبي فراقكم قتله
لا تلقَ دهرك إلا غير مكترث
ما دام يصحب فيه روحك البدن
يدفع نفسه دفعاً إلى "المرمى" المراد..

(١) .. أو كما قال أبو نواس:

عاج (الشقي) على الرسم يسأله ..!

بل واستفهامه هذا..، أوضح:

مالي بدار خلت من أهلها شغل^(*)
ولكنه.. يقول - ناقضاً -:

ولا شجاني لها شخص.. ولا تطل

وعلى ذي صبابَةٍ فأقيماً
فضح الحبُّ سرّاً المكتوماً

يا خليلي ساعة لا ترمي
ما مَرَرْنَا بدار زينب إلا
-^(*) ومعنى صدر البيت من قول الناظم:

ألا حبي من أجل الحبيب المغانيسا.. إلخ-
(٢) مررت على دار الحبيب فحممت

جوادي، وهل تشجي الجياد المعاهد؟

فالتغني بتلك الأطلال.. لا يُعيرها المتنبّي أكثر من ذكرها فحسب! ..
لأنها - فقط .. - :

منازل خاللت السرور بها ^(١)

إلا أن المُطلّع على ديوان شاعرنا يجد شيئاً من ترديد المعاهد والربوع..،
وإطلالتها في بعض مطالع قصائده كقوله:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت.. وهن منك أو اهل
وقوله أيضاً:

فديناك من ربع وإن زدنا كربا فإنك كنت الشرق للشمس والغربا
- بل.. وكيف جلبت "تلك المراتع" الموت قبل مواعده:

ذكر الصبا ومراتع الآرام ^(٢) جلبت حمامي قبل وقت حمامي ^(٣) -
ومجارات عينيه.. لتلكم أبين دليل:

أجاب دمعى..، وما الداعي سوى طلل دعى فليت قبل الركب والإبل
ظللت بين أصبحاي أكفكفه فظل يسفح بين العذر.. والعذل

^(١) محمد بن عثيمين.

- وقال الآخر:

ما بكينا على "زرود".. ولكنا بكينا على أيامنا في زرود
^(٢) .. جمع (ريم) صغير الغزال.

^(٣) قيل أنها في مدح سيف الدولة "قبل لقاتهما" ب ١٦ سنة وكان المتنبّي يبلغ العشرين من سنّه.

- انظر ما تقدم هامش (٢) ص ٣٣ -

إلا أن هذا لا ينفي مُطلقاً ما أسلفت.

.. فالإنسان بطبعه حب الماضي لأنه يعني الطفولة -الصفاء.. والنقاء..-
والذكريات، والأكثر من ذلك فراراً من (الواقع) -بخاصة إن كان مُراً-
.. وقد يكون ما يعنيه شاعرنا من تلكم:

وما شرقي بالماء إلا تذكراً لماء به أهل الحبيب نُزول^(١)
أو السرور الذي "يرى" أنه لم يدركه من الزمان:
أتى الزمان بنوه في شيبته فسرهم.. وأتيناها على الهرم!^(٢)
قد يكون إيضاحي غير وافٍ، لكن ما سنجده عند الشاعر في
(الرسوم..، ومراتع الآرام) هو:

الخيال البعيد، وذلك الماضي.. ال(كان)^(٣) -فحسب-!

لأنه تغرّب لا مستعظماً غير نفسه.. ولهدف - سامٍ - .. كناه به:

^(١) إذا فهذا السبب.. - كما يبني له المرقش الأكبر -:

فقولا لها ليس الظلال أجازنا ولكننا جزنا لنلقاكم.. عمدا
إنما (عبد الله بن الدمينه) يقول - مبيناً -:

ولكن قسرب الدار ليس بنافع إن كان من تهواه ليس بلذي ود

^(٢) .. وإذا كان عهده "هرم الزمان"، فما نقول نحن.. ب"زماننا"؟. قال فواز اللعبون

- يبني على هذا الإنشاء -:

أبتم زمان المجد وهو أخو صبا وجناه كهلاً.. قد حنى دوننا ظهرا

^(٣) قال عنه - معبراً - إيليا أبو ماضي:

بحيرة "الحب" حياك الحياة فلکم كانت مياهاك بالنجوى تُخينا

ما ابتغي جلا أن يُسمى

وقد تكون أطلاله على قافية قوله:

ألا ليت شعري هل أقول قصيدة فلا أشتكى فيها ولا أعتب؟..

بمعنى: إن كان هناك "هم" حضر.. وحاصر شاعرنا في وقتها عتب

(الزمان) الذي لم يُبلغه مراده، وإلا أن لم يحضره تهيمه.. وجد همًّا آخر

- قد يكون:

لحى الله ذي الدنيا مناخاً لراكب فكل بعيد همّ فيها مُعذّب-

.. حتى الجواد.. لا ينسى ماضينا بذي الطلال!

مررت على دار الحبيب فحمحت جوادي، وهل تشجى الجياد المعاهد؟

وهكذا "يُكينا" على الرّسم القديم، والصبا الذي خالطه منّا.. وأقام:

(أيام تجريرنا بدار آتلة أعودنا..)

بكت عيني "اليمنى"، فلما زجرتها عن الجهل - بعد الحلم - أسبلتا معاً^(١)

فأطلاله/ بها من دقة التصوير ما يُصيرك كأنك.. أمام ربوعك أنت،

وقام "هو" ليتحدث بلسانك - ما حال عنه ضعف عبيرك -:

لك يا منازل في القلوب منازل^(٢)

(١) السعدي الشيرازي.. بالمناسبة قال ذلك ارتجالاً في وداع صديق له - مع بيتين آخرين.

(٢) بالمناسبة.. إذا ما عين "المتذوق" في جميل ما عناه في التحسس.. لصدى "أول منزل"

- الطلال - وعهد الصبا.. بـ "قول أبي تمام":

كم من منزل في الأرض يآلفه الفتى وحينئذ أبداً لأول منزل

...

ثم.. أيها "الخراب" من .. إعمارنا بك:

أقفرتِ أنتِ، وهنّ منك أو أهل^(١)

.. وهن - أي القلوب -:

يعلمن ذلك.. وما علمت، وإنما أولاكمما يبكي عليه العاقل

... وهذا التذكّر - بعد أمة^(٢) - :

ذكر الصبا ومراتع الآرام

ماذا فعلت.. هذه الذكرى:

جلبت حمامي.. قبل وقت حمامي

أي: كأنّ تلكم: أماتني قبل أو آن الأجل!

.. أو حين "يتودد" لها .. بـ

أثلث! فإنّنا أيها الطلل .. نبكي، وترزم تحتنا الإبل

.. نحن "نبكي" والإبل حانية "كالباكية" .. فلما لا تكن "يا طلل" ثالثنا

بذا الحال؟

...

لقارنّا في "تذوقتهما" أيهما الأجل..؟

فلأنّ حظي الطائي "أبي تمام" بالسبق "تاريخياً" فالأكيد.. أن لصاحبنا -الجعدي-

السبك..، وذا ما لا أحد له لديّ - على الأقل - اعتراض!.

^(١) .. وهن - القلوب - أو أهل.. كما يعلّق أحدهم بـ:

(أنها: أهلة بالوجد.. والذكريات).

^(٢) .. "الأمة" .. العهد الطويل، قال تعالى في سورة يوسف -عن أحد السجينين-:

﴿وادكر بعد أمة﴾

والمعتذر من عدم إجابة ذا الجماد - بي الإثلاث...!:-

لو كنت تنطق قلت معذراً بي غير ما بك.. أيها الرجل^(١)
.. فيا.. "ربوعي" ومرتع "الصبا" إنني:

بكيت يا ربع حتى كدت أبكيكا

و.. ربما لما بها من ذكرى - أو/ صدى السنين الحاكي - لا تغيب على
تقادم عهدها..، كالحب الأول..:

ولكن حبّ خالط القلب بالصبا يزيد على مرّ الزمان.. ويشتدُّ

..ولا ننسى قبل طيّ صفحة "أطلاله" أن نذكر بأن أبا الطيب - كما

قيل - شارك "عنتره" في ثورته على مطالع القصائد أطلالاً أو تغزلاً...

بقوله - إنكاراً لانسياية مثل هذه العادة^(٢) - :

إذا كان مدح فالنسيب المقدمُ أكلُ فصيح قال شعراً متيمُّ؟



(١) ليذكرنا هذا "العجز" بما قاله الأعشى - مُستفهماً - : ..هل تستطيع وداعاً أيها الرجل؟

(٢) ..كما سبقه أبو نواس بـ:

قل لمن يبكي على طلل درمن واقفاً، ما ضرّ لو كان جلس

- وقوله أيضاً:

دع الرسم الذي دثرا يُقاسمي الريح والمطرا

"الفراق":

أما "الفراق"^(١) فإنه ما أعهدُ هو "توأمي" لو كان بينَ يُولدُ
ثمَّ يسبك.. هذه الحكمة - ك علة أو سبب! -:
لولا مفارقة الأحباب ما وجدت لها المنايا إلى أرواحنا سُبلا
... والرحيل:

ألفت ترخلي.. وجعلت أرضي.. إلخ
.. وهكذا يفعل به.. "الوداع"^(٢) أبداً:
خُشاشة نفس.. ودعت يوم ودعوا فلم أدرِ أي الضاع عين أشيخ
إن عمر هذا - الشاعر - قضاه مُتقللاً من بلد.. إلى آخر، وربما الشاذ
عن هذا المنوال.. ما عبّر به في قصيدة "الحُمى":
أقمت بأرض (مصر) فلا ورائي تخب^(٣) بين الركاب.. ولا أمامي
فما أقام سيوى مُقامٍ عند "سيف الدولة"^(٤)..
وبرغم جمال تلك الأيام.. إلا أنه لم يعبأ بها.. على حد نظم وتيرته:

فمفترق جاران دارهما "العمر"

^(١) ذر النفس تأخذ ومعها قبل بينها

^(٢) ..ومن جميل ما قيل -..مناسبة -:

وأسأل عنهم من لاقيت.. ومن معي
ويشتاقهم قلبي، وهم بين أضلعي

ومن عجب أنني أحنّ إليهم
وتفقدتهم عيني، وهم في سوادها

^(٣) تخب: أي تسرع.

^(٤) تقريباً - عقداً من السنين ب: "حلب".

غني عن الأوطان لا يستخفني إلى بلد سافرت عنه إياب
لذا كان - على ما عهد من نفسه الترحل - .. أولى أن يقول
"للحمداني":

حيي من إلهي أن يراني وقد فارقت "دارك" واصطفاكا
من أن يقولها لـ "عضد الدولة" .. ولكن ..!

- إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم.. فالراجلون هموا^(١) -
.. وقد شبَّ معه "الرحيل" والبين منذ فارق "الكوفة" .. طمعاً.. في
ولاية أو مال.. يُنيله الولاية، ولعل بعض ذا.. ما جعله ينفث.. في رثائه
لجده:

تغرب.. لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالفه حكماً
.. هذه النفحة "المُعظّمة للذات" والتي تحكمت بـ "جنبيه" جعلت لإقرار
يقربُه، ولا محل يحلّ به، سوى وقت نزرٌ عسى - وذا المطلب - يجد منه..
ما جدّ.. له... ليصل مناه..

أمسيت.. أروح مُثِرٍ خازناً وبدأ "أنا" الغني، وأموالي المواعيد
إلا أنه على عادته - التي لا يدعها - في الزفر عما يُكنّ داخله.. باتاً^(٢):

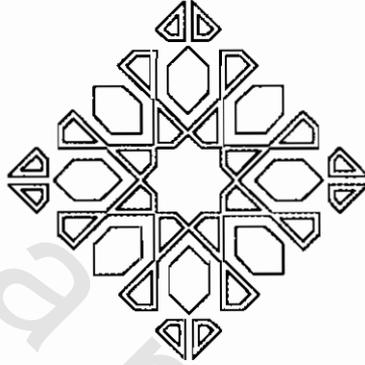
(١) .. وأجمل ما يعارضه قول من سبقه:

استودع الله قوماً ما ذكرتهم
إلا وهل ماء العين.. من عيني

(٢) أو/ قول "أبي تمام":

لا تسقني ماء الملام، فسأني
صبّ قد استعذبت ماء بكائي

.. من خصّ بالدمّ الفراق فإني من لا يرى في الدهر شيئاً يُحمد^(١)
.. ولو التفت - الآن - إلينا .. لقال لسان حاله:
لا تلم كفي إذا السيف نبا^(٢) صحّ مني العزم، والدهر أسي^(٣)



(١) وقال - توضيحاً - في مطلع رثائه للتوخي:

إن الحياة وإن حرصت غرورُ
بعلّة.. وإلى الفناء يصيرُ
إنني لأعلم.. والليب خبير
ورأيت كلّ ما يُعلل نفسه
(٢) أي: أخطأ.

(٣) - شاعر النيل - حافظ إبراهيم.

" الغزل ":

فمن شاء فليُنظر إليّ فمُنظري نذيرٌ إلى من ظنّ أن الهوى سهل
لا يُعاب المتنبّي في مجون أو شراب أو ترف أو عبث..
لأنه منذ صباه كان جاداً رزيناً، لا يهتم بالغواني ولا ينصرف إلى
المطربات من الألمان:

وغير فؤادي للغواني رميّة وغير بناني للزجاج^(١) ركاب
تركنا لأطراف القنا كل شهوة فليس لنا إلا بهن^(٢) لعاب
أعزّ مكان في الدنى سرج سابع وخير جليس في الزمان كتاب
وهذا لا تزكية له، بل لأنه جَدّي... وذا طموح وأحلام، شغلته عن
حسان الوجوه:

شغلت قلبه حسان المعالي عن حسان الوجوه والأعجاز
فلم يتلذذ بالهوى وصبّ القلب، رغم ماله من غزليات تجدها في مطالع
قصائده، كقوله في وصف "الأسد":
في الخلد إن عزم الخليط^(٣) رحيلاً مطرٌ.. تزيد به الخدود محولا
أو في أخرى..

ما لنا كلنا جوياً رسول أنا أهوى .. وقلبك المتبول

(١) ويرويه ابن جني للرخاخ "من أدوات الشطرنج".

(٢) الضمير يعود على "الشهوات".

(٣) الخليط: العشير أو قريب السكنى - والقصيدة في مدح الفارس "بدر بن عمار بن إسماعيل" -

ومع ذلك فله أبيات بديعة يحسن منها قوله:

جرى حبها مجرى دمي في مفاصلي فأصبح لي عن كل شغل بها شغل
سببني بدل ذات حسن يزينها تكحل عينيها وليس لها كحل
كأن لحاظ العين في فتكه بنا رقيبٌ تعدى، أو عدو له دخل
ثم الاعتراف بنار العشق:

يا عاذل العاشقين دع فئة أضلها الله.. كيف تُرشدها
ففي فؤاد المحب نار جوى أحرُّ نار الجحيم أبردها
وقوله - وهو صبي^(١) - :
بأبي..^(٢) من ودته فافترقنا وقضى الله بعد ذاك اجتماعا
فافترقنا حولين... فلما التقينا كان تسليمه عليّ وداعا
أو تمهيد.. للإعتذار^(٣):

(١) .. ويُذكر أن هذين البيتين أول ما نظم - انظر ما يأتي ص ١٣٢ -

(٢) ..أي: أفديه بأبي.

(٣) وقد زعم - من زعم - أنه كان هناك ودٌ خفي لأخت الأمير.. في قلب شاعره
مستدلاً - بهذا الزعم - من قوله.. بعد الفراق:

رمى.. واتقى رميي، ومن دون ما اتقى (هوى) كاسراً كفي وقومي.. وأسهمي
وتأكيداً.. من رثائه فيها - حين عزى أختها.. في فقدها - بقوله:
ولا ذكرت جميلاً من صنائعها إلا بكيت... (ولا ودٌ بلا سبب)
وهل أدل على هذا الاستنتاج - ولا أقول زعم - قول شاعرنا.. مخلدًا: طوى الجزيرة^(*).. إلخ
^(*) وهذان البيتان أخذنا من الخلود - استشهاداً - ما الله به عليم!.

...

رمى واتقى رمي ومن دون ما اتقى^(١) هوى كاسراً كفي وقوسي.. وأسهمي
ومن شواهد صنيعة الفني قوله:^(٢)

سفرت وبرقعها الفراق بصفرة سفرت وبرقعها الفراق بصفرة
نشرت ثلاث ذوائب من شعرها^(٣) نشرت ثلاث ذوائب من شعرها^(٣)
واستقبلت قمر السماء بوجهها واستقبلت قمر السماء بوجهها
فأرتني القمرين في وقت معا فأرتني القمرين في وقت معا

وأيضاً له أبيات "جميلة" متناثرة هنا وهناك:

كل جريح تُرجى سلامته إلا فؤاداً رمته عينها
* * *

قفي تغرم الأولى من اللحظ مُهجتي بثانية و"الملف الشيء غارمه"^(٤)
* * *

-...-

حتى في عهد الشاعر - انظر ما تقدم ص ١٦ هامش (٢) -

(١) أي: من الوقاية،.. لئلا نذكرنا باختراع نابغة بني ذبيان:

سقط النصف، ولم تُرد إسقاطه فتناولته،.. و(اتقتنا) باليد

(٢) لعل رأي الأستاذ جورج غريب في محله - هنا - عندما قال:

"يلتجئ المتنبّي إلى الجمال الفني^(*) عندما تخونه حرارة العاطفة.. ويعوزه صدق الأداء".

باختصار ص ٢٤٦ "المتنبّي دراسة عامة".

- (*) أو ما يسمى بـ "الإخراج الفني" كما يفعل (أمير الشعراء) -

(٣) .. وأخذ أحمد شوقي من هذا "الصدر"، فنظم:

ودخلت في ليلين: فرعك والدجى - ولثمت كالصبح المنور فاك -

(٤) .. ولندكر بهذه "القاعدة الفقهية".

وخصر تثبت الأبصار فيه كأن عليه من حدق نطاقاً^(١)

* * *

كلمما عاد من بعثت إليها غارمني..، وخان فيما يقول^(٢)
أفسدت بيننا الأمانات عينا ها، وخانت قلوبهن العقول

* * *

أنتِ منّا فتت نفسك لكنك عُوفيت من ضنى واشتياقِ

ثم...:

لقد حازني وجدٌ بمن حازه بُعدٌ فيا ليتني بُعدٌ وبأ ليته وجد
و.. حين يعترف:

شيب رأسي وذآتي ونحولي ودموعي.. على هواك شهودي^(٣)
أو يكون صادقاً حين يوجز عن حبيبه:
حبيبٌ كأن الحسن كان يُحبه فأثره أو جار في الحُسن قاسمه

(١) جاء في (الصبح المُني) أن "السري الرفاء" لما سمع المتنبي ينشده قال:

(..هنا والله معنى ما قدر عليه المتقدمون).

- وقد أخذ هذا المعنى.. في إنشائه، قول الآخر:

أحاطت عيون العاشقين بخصره فهل له دون النطاق نطاقاً -

(٢) أخذ نزار قباني من هذا النظم.. فأنشأ:

كم رسول أرسلته لأبيها ذبحته تحت النقاب العمون

(٣) ألا يكفي.. هؤلاء الشهود!!

.. ويأتي الحكيم هنا.. ليعرّف "ماهية الحب":
الحب: ما منع الكلام الألسنا وألذ شكوى عاشقٍ ما أعلننا
وتهتز النفس الأبية.. حين ينفذ الصبر:
أجد الجفاء على سواك مروءة والصبر.. إلا في نواكٍ جميلا
حتى الدلال - برغم عدم التعامل به أو معه.. إلا هنا - :
وأرى تدللك الكثير محبياً وأرى قليل تدلل مملولاً^(١)
وهل شخصٌ هذا الأبوي المغوار.. يتحول لمنذر يُهيب من يعشق من
"العشق":

فمن شاء فليُنظر إليّ فمُنظري نديراً إلى من ظنّ أن الهوى سهل
.. ونعود إلى دُرّ الصبّا، مهد الفتوة (أيام تحرير.. ذيولهُ، بدارٍ آتلة عوده):
عمرك الله... هل رأيت بدوراً طلعت في براقع وعقود؟
راميات بأسهم ريشها الهدب، تشق القلوب قبل الجلوس!
.. وكأنني بك تجيبه بـ "لا.." إن لم يخامرك هوى مُهابة أو جُودر:
مَن الجاذر؟.. في زي الأعراب حمر الحلى، والمطايا.. والجلابيب
.. وإن سألت سؤال المتجاهل.. أو شككت^(٢):

(١) قال صنوه (المعري):

منك الصدود، ومني بالصدود رضى من ذا عليّ بهذا.. في هواك قضى!

(٢) ليس الشكّ المزعزع لليقين، لكنه المقرّب - بسلكه - للحقيقة، قال "ديكارت"

-ت. ١٦٥٠م-: (الشك يودي لليقين)

إن كنت تسأل شكاً في معارفها فمن يلاك بتسهيدٍ وتعذيب
أكيد سوف تُجيب.. "هُنَّ" (١)؛ اللواتي - كما يصفهن - (٢):
ما أوجه الحُضْرَ المستحسنات به كأوجه البدويّات الرعايب (٣)
ثم هذا التنهد والتأوه والآه.. على "شامية" - خلى بها-..
أواه بديل من قولتي وآها لمن نأت والبديل ذكراها
أواه لمن لا أرى محاسنها وأصل واهاً وأواه مرآها
.."شامية" طالما خلوت بها تُبصرُ في ناظريّ مُحيّاهَا
ثم هو لا يتذكر الطلول حُبّاً "بالطلول" .. إنما بمن كان بها:
- وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا - (٤)
/...

(١) بنات حواء.. فهل على (ابن الفارض) من عتب حين يستعجب:
هل سمعتم أو رأيتم أمداً صاده لحظ مهةا.. أو ظبي
.. ويسمو على الشاهد، قوله صلى الله عليه وسلم:
(ما تركت بعدي فتنة أشد على الرجال من النساء) - الحديث
(٢) - .. قال (د. موسى العويس) معلقاً:
(أكبر المتنبّي الجمال المعنوي للمرأة، المتمثل في وقارها، وعفتها، وحشمتها، ورزانتها،
ورصانتها، وصفاء نفسها، ونقاء وجدانها وامتلاكها ناصية البيان. ورأى أنّ هذه
السجايا لا يمكن أن تتوافر إلا عند المرأة الأعرابية التي حافظت على هويتها من
أوشاب الحضارة، ولم يفرها السراب أو تنخدع به) - الجزيرة/ عدد ١٠٥٦٥ -
(٣) جمع رعبوبة وهي: الطويلة الممتلئة.
(٤) كما يقول (مجنون ليلي).

إن الذين أقمت وارتحلوا أيامهم لذيهارهم دول
الحسن يرحل كلما رحلوا معهم.. وينزل حيثما نزلوا
وهذا ما جعل للطلول بالقلب "طلول" .. للأحبة، ومغنى. لأيام كانوا
بها - إذا.. ما:

بدت قمراً ومالت خوط بان وفاحت عنبراً ورنّت غزالاً^(١) -
ل.. أن من قلبه مُعلّق بآمال وطموح شغله عن القرار.. وأبعد به الدار..
وقلّ منه المزار، لا يُنتظر منه غير الحديث عن همّته وقصده، أو البحث
عن الوسيلة المبلّغة، والطريقة الناجعة.. لنيله!..
.. أمّا وشاعرنا كما نعرف عنه.. من قوله:

مما أضرب بأهل العشق أنهم هووا.. وما عرفوا الدنيا وما فطنوا
تفنى عيونهم دمعاً وأنفسهم في إثر كل قبيح وجهه حسنٌ
فأبعد من أن يأسره طرفٌ كحيل أو خدٌّ أسيل..،
فما أعجزنا أن نعرّف بهذا الشاعر حين نذكر بدائعه بهذه "الوجهة"!
.. مثلاً كقوله - من شكوى مافعل به الهوى -:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجلٌ لولا مخاطبتي إياك لم ترني^(٢)

(١) قال - من قبله.. - أبو نواس (ب.. أربع استعارات):

بيكي، فيدري الدرّ من نرجس ويلطم الخد الورد بالعناب

(٢) .. وهي مُبالغة - كعادة الشعراء.. - وقيل:

رأى رجلٌ بشار بن بُرد - فإذا هو ضخم الجثة.. - فقال له أين قولك:

أو القول .. في عتابٍ جميل:

لحال النحول دون العناق

جَلتِ دون المزار،.. فاليوم لو زرتِ

وأحسن به (إجمال).. عن أهل ودّه:

بكيّت على حَبّي الزائل

ولو زلتهم.. ولم أبككم

أو.. سماحة العاشق - لدنه -:

(إن القليل من الحبيب كثير^(١))

وقنعت باللقيا، وأول نظرة

.. ونصحه.. للهائم..

فما عاشقٌ من لا يذل.. ويخضعُ

تذلل لها.. واخضع على قرب النوى

و - أخيراً - تعريفه^(٢).. لـ "الحب" :

وَألذُّ شكوى عاشقٍ ما أعلنّا

الحب ما منع الكلام الألسنا

و.. رغم هذا الإبداع - وغيره كثير^(٣) -، إلا أن (الغزل) من الفنون التي

...

لو توكّأتِ عليه لانهدم

إن في بُردِيّ جسمًا.. ناحلاً

.. وأنت كالثور؟

فقال له.. ألم يقل الله سبحانه وتعالى في كتابه: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾.

..على أن مبالغة بشار - هذه -.. لا تصل إلى مدى عبير شاعرنا.. به

وشكّيتي فقد السقام لأنه قد كان.. لما كان لي أعضاء

(١) وكم ذهب - هذا العجز - مثلاً..!

(٢) .. "بجازاً" - وقد كرّرت هذا لمسوغ.. لذلك -

(٣) كما قال.. في لقاء.. بعد "ضنى البين"

أشفقت أن تحترق العواذل بيننا

وتوقّدت أنفاسنا حتى لقد

لم يلتفت لها الشاعر، وإنما تكلفها "تماشياً مع سجية الشعراء" -ربما..^(١) -
غزلٌ ظهر به جهد العقل والصنيع الفني.. أكثر من أثر العاطفة ورقة
الشعور، كيف لا وهو القائل:

أطعت الغواني قبل مطمح ناظري إلى منظر يصفرن عنه ويعظم
وكان أبا الطيب اصطنع الغزل^(٢)، أو فرضه على نظمه - ألم يقل وكأنه
يعني.. ذاته/ وقد يتزياً الهوى غير أهله.. -

^(١) وإذا ما أردنا أن نحازف - في الحكم على غزله - .. استعرنا قول الشاعرة عائشة
التيمورية (ت ١٩٠٢): (أنه لم يكن "الغزل" في شعره إلا من قبيل "تمرين اللسان"!)
و.. يعلق د/ غازي القصيبي: (المرأة في أكثر قصائد الغزل ليست امرأة، إنما هي "رمز"..
لكن يُبنى عليها - فقط - لأنها كائن جميل يأسر، وهو - هذا النمط - تقليد
قديم!)

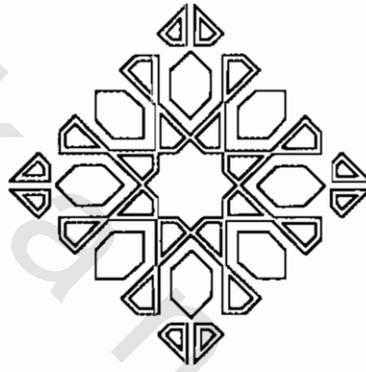
.. على أننا نستتي من تعليله - الواقعي - أهل التجارب.. في أسر الهوى، كمسلم بن
الوليد - صريع الغواني - القائل.. بنفس تنهّد العاشق:

سقتني بعينها الهوى... ومسقتها فهدب ديب الراح.. في كل ففصل
^(٢) قال تركي السديري - رئيس تحرير صحيفة (الرياض) - عن صنعة الغزل لدى المتنبي:
" .. لم يبحث متذوقوا الشعر في قصائد المتنبي عن إبداعات الغزل التي تأتي عنده
متكلفة وكأنها بعضٌ من كلّ.. لا بد من تواجده حتى لا يكون ذلك الكل ناقصاً
عند من يتابعه..".

الأبسط في إيضاح ذلك قول أنيس المقدسي - مقدماً لغزل البحري هو:
(نوع من الفن الكلامي يصدرون به قصائدهم تمهيداً لما يقصدون).

فالغزل يحتاج إلى فن عاطفي صادق^(١). أما الأثر الغنائي الخالص عند الشاعر فهو قليل.

... والذي يظهر أن قلة هذا الأثر - الغنائي - أتت من قلة توجّد الهوى .. بداخله^(٢) - الذي لم يُشغل به نفسه -، ألم يقل:
لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصباة إلا من يُعانيها^(٣)!؟



(١) .. والذي يأتي - أو يتولّد - من تجربة..، أو نتاج تجربة

- ولا كل من عانى الهوى... بُمتيم -

(٢) لكن - الحق/ أنه مهما تنصّل الإنسان من هذا الداء (الغزل)، إلا أنه مُتغلغل في النفس الشجية، أو الشاعرة مثله.

(٣) قال الشاب الظريف:

فحسى يعينك من شكوت له الهوى في حمله، فـ (العاشقون رفاق)

"الذاتية":^(١)

شاعرنا قد يكون من أكثر الشعراء حديثاً عن نفسه: متفاخراً..
فليفخر "الفخر" إذا غدوت به مُرتدياً خيره.. ومنتعلاًه
و..

أبدو.. فيسجد من بالسوء يذكرني
فلا أعاتبه صفحاً وإهواناً
ومتعاضماً:

تغرب لا مستعظماً غير نفسه
ولا قابلاً إلا خالقه حكماً^(٢)
أو..:

أمت عنك تشبيهي بما وكأنا
فما أحدٌ فوقِي ولا أحدٌ مثلي
ومعجباً:

إن أكن معجباً فعجب عجب لم يجد فوق نفسه من مزيد^(٣)

(١) قال د. غازي القصيبي - سيرة شعرية، ص ٩٦ -:

شعر المتنبي - في نهاية المطاف - ينطوي على عشق واحد.. هو عشق الذات، وهذا
العشق هو الذي أعطانا شعراً كهذا:

أرى كلنا يغني الحياة لنفسه
حريصاً عليها مُستهماً بها صبا
(٢) -.. كما قال عنزة:

لا تسقني ماء الحياة بدأة
بل فاسقني بالعز كأس الخنظل -
(٣) .. كقول أحدهم - من.. عهدنا -:

ومنا الوزير، ومنا المشير
ومنا الخطير.. ومنا "أنا"!
.. ويفرط الدكتور عبد العزيز الدسوقي - كتابه: عالم المتنبي.. الشعري - في العبير عنها:
-....

.. لم لا ..؟ و..:

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم
وشجاعة:

صحبت في الفلوات الوحش منفرداً
حتى تعجب مني القور والأكم^(١)
وإقدام:

لتعلم مصر ومن بالعراق
وأني وفيت وأني أبيت
.. ومن يك قلباً كقلبي له
جراءة..:

يحاذرنى حتفي.. كأي حتفه
وتكزني الأفعى. فيقتلها سُمي
وسمواً:

كم تطلبون لنا عيباً فيعجزكم
ما أبعد العيب والنقصان من شرفي
ويكره الله ما تأتون والكرم
أن الثريا وذان الشيب والمهرم

...

"شخصية هذا الداعية السياسي والمفكر القومي والشاعر العبقرى واضحة تزحم هذه القصائد، لقد كان يمدح نفسه ويتغنى أشواق روحه، في بداية معظم هذه القصائد وفي خواتيمها، وأحياناً كانت تشغله ذاته عن شخصية المدوح، ولهذا عندما كان يرتبط بأمير أو وزير كان يقصر شعره عليه، لأنه كان يحقق (ذاته) من خلال هذا الأمير أو الوزير، وقد ظل مرتبطاً بسيف الدولة تسعة أعوام كاملة أنجب خلالها أجمل شعره".

(١) القور: جمع قارة/ الأرض ذات الحجارة السوداء. الأكم: جمع أكمة (الجيل الصغير).

وثقةً - ليس لها مثيل - :

أسري في ظلام الليل وحدي كأنني منه في قمرٍ مُنير
ثم.. كل هذا قليل إذا عدنا إلى قصائد:

رثاء جدته / "ألا لا أرى الأحداث مدحاً ولا ذماً"

وقصيدة: "إذا غامرت في شرف مروم"

وعتابه (الشهير) لسيف الدولة: "وآحر قلباه من قلبه شيم!"

أو الحمى / "ملومكما يجلُّ عن الملام"^(١)

وفي الردّ على من زعموا موته: "بم التعلل.. لا أهل ولا وطن؟"

وأخيراً - وهي أولاً - قصيدة عهد الصبا:

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجودي

وبهم فخر كل من نطق الضا د، وعود الجاني وغوث الطريد

وهل بعد هذا من ذاتيةٍ يبقى للحديث عنها..؟! لا أظن:

أن صخرة الوادي إذا ما زوحت وإذا نطقت فإنني الجوزاء

ف...:

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرم

ولا يفوتني التنويه بقوله "أنا الثريا"، كيف لا..! وهو القائل:

واني لنجم تهتدي صحبتي به ..إذا حال من دون النجوم سحاب^(٢)

^(١) وفيها تعري واضح .. لهذا "الجواد" الذي أضرّ به (طول الجمام) أو الراحة.

^(٢) ليذكرنا.. بقول نده - في عصره - أبو فراس الحمداني:

-...

هذا التعالي^(١) الذي - ربما - سبب له الحسد ممن حوله، حتى أن سيف الدولة كره من شاعره هذا التعاضم الذي بلغ منتهاه.. فجفاه..^(٢) حتى حمل الشاعر أن ينظم:

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام، وأنت الخصم والحكم!
وانتهاءً بقوله - كأنه استطال جفاء الأمير - :

....

سيدكرني قومي إذا جدّ جدهم وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ
- ومن معناه قول (ابن المعتز): لولا ظلمة الخطأ، لم يين ضوء الصواب -

^(١) .. إذ ليس بمجديد - هذا التعالي - من الشاعر، ألم يقل في كنف أبي العشائر بمدحه:

لم تنزل تسمع المديح ولكن صهيل الجياد غير النهاق
وكأنه يُشبه الآخريين من الشعراء بالحمير - أعزكم الله -
..وقد قال - من قبل - دعبل الخزاعي

إني لأفتح عيني - حين أفتحها - على كثير، ولكن لا أرى أحداً
وصدق عليه قول أبي تمام:

يُسيء بالإحسان ظناً.. لا كمن يأتيك، وهو بشعره مفتون
...ولا ننسى التوجيه الكريم قال تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ سورة النجم، آية ٣٢.

^(٢) فقال - في ذا الجفاء - :

أرى ذاك السود صار ازورارا وأصبح طويل السلام اختصارا
تركتني اليوم في خجلة أموت مراراً وأحيا مرارا
- ولو .. استشهد (حينها) بغير شعره لقال:

وكنت أذم إليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا
وكنت أعبدك للنائبات فها أنا أطلب منك الأمانا

إن كان سرّكم ما قال حاسدنا^(١) فما لجرح إذا أرضاكم ألم^(٢)
المراد..

ومن يبغ ما أبغى من المجد والعلی
ألا لیست الحاجات إلا نفوسكم^(٣)
المجد والعلی..، إذا أیتها النفس:

إن لم أدرك علی الأرماح سائلة
و.. اعتزازاً: ^(٤)

فموتی فی الوغی عیشٌ لأنی
..رعب:

مَن لو رآنی ماءً مات من ظمأً
ولو غرّضت له فی النوم لم ینم

(١) قاصداً أبا فراس - بقوله حاسدنا - ورضي عنه سيف الدولة.

السبب: ..وكما قيل/ قد يكون بين المتعاصرين منعه من الانصاف، وهذا مما يعتذر لأبي فراس، الذي لا يُنكر على المتنبّي قصب السبق في ريادة القريض، إذ لا يمكن أن يغمط قدره.. مثله!!

(٢) - وقال ابن الرومي:

لعل قلوباً قد أطلتكم غليلها
^(٣) أو.. إلا رؤوسكم.

(٤) ولذلك تجده.. يُرسل .. كالناصح:

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم
فرووس الرماح أذهب للغیظ
بين طعن القنا وخفق البنود
وأشفي لعل صدر الحقود

صبر وتجلّد:

كأنني دحوت الأرض من خبرتي بها
كان بنى الاسكندر السدّ من عزمي
فخر:

ما نال أهل الجاهلية كلهم
شعري، ولا سمعت بسحري بابل
كبرياء:

أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني
فلا أعاتبه صفحاً وإهواناً
عزم - بلا نظير - :

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر
وحيداً، وما قولي كذا ومعني الصبر
غرور وصل مُنتهاه:

أنا الذي بين آلاله به
والدرّ درّ برغم من جهاله
وتظهر الجهل بي وأعرفه
الأقذار، والمرء حيثما جعله
وثقة.. ليس كمثله شيء:

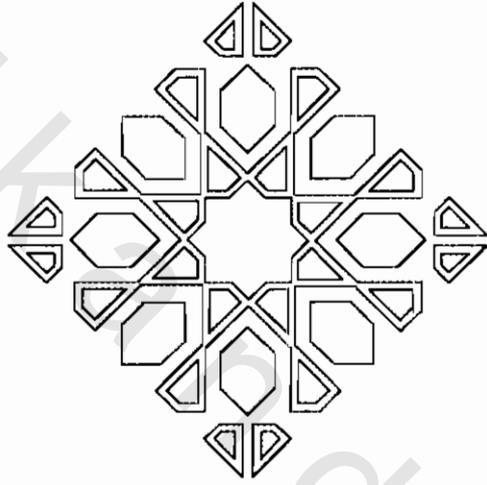
يُسابق سيفي منايا العباد
إلهم كأنهما في رهان
.. وننتهي عند هذه النفس العظيمة - لدى صاحبها - إلى مجلس الأدباء
/و/ حُصاده^(١) .. في بلاط سيف الدولة، حيث تفجّرت: "بميميته" نفس
الكبرياء عنده^(٢) بقوله:

(١) - .. أو ما خُيل إليه.. من غرور الذات: أنهم كذلك!! -

(٢) وكأنه يُوعز (على لسان غيره).. إلى من يعاتبه - على هذا الإفراط - بـ:

ولا أرضَ الجهل خدناً وصاحباً
ولكنني أقبله حين أخرج
...

سيعلم الجمع ممن ضمّ مجلسنا
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي
بأنني خير من تسعى به قدم
وأسمعت كلماتي من به صمم
والخيّل والليل والبيداء تعرفني
والسيف والرمح والقرطاس والقلم



-...
- انظر .. مطلع ص ٩٢ -

ترانيم^(١) .. على مقام "المتنبي"

- بلا.. تعليق!! :-

"أنا الطائر المحكي والآخر الصدى"

* * *

"أنا صخرة الوادي إذا ما زوجحت وإذا نطقت فراني الجوزاء"

* * *

"أنا تُرب^(٢) الندى، وربُّ القوافي" وسِمام العدى، وغيظ الحسود"

* * *

"لا بقومي شرفت بل شرفوا بي" وبنفسي فخرت لا بجوددي"

* * *

"إن أكن معجب فعجب عجيب" لم يجد فوق نفسه من مزيد"

* * *

"لقد تصبرت حتى لات مصطبر" فالان أقحم حتى لات مقتحم"

* * *

".. ولو برز الزمان إليّ شخصاً" لخصب شعر مفرقه حُسامي"

* * *

"أذاقني زمني بلوى شرقت بها" لو ذاقها لبكى ما عاش وانتحبا"

* * *

"أضمتني الدنيا فلما جتتها" مستسقياً مطّرت عليّ مصائباً"

* * *

"أسري في ظلام الليل وحدي" كأنني منه في قمر منير"

* * *

(١) .. ذاتيه -

(٢) تُربُ الإنسان: من ولد معه - أو توأمه -

"تغرّب لا مستعظماً غير نفسه ولا قابلاً إلا لخالقه حكماً"

* * *

"أط عنك تشيبي بما.. وكأنا فما أحد فوقي..، ولا أحد مثلي"

* * *

"واني لمن قوم كأن نفوسهم بها أنف"^(١) أن تسكن اللحم والعظما"

* * *

"وإذا أتتكم مذمتي من ناقص فهي الشهادة بأني كامل"

* * *

"كأن بينهم عالمون بأني جلوباً إليهم من معادنه اليتما"

* * *

"كأنني دحوت الأرض من خبرتي كأن بني الاسكندر السد من عزمي"

* * *

"يحاذرنني حتفي.. كأنني حتفه وتنكرني الأفعى.. فيقتلها سُمّي"

* * *

"ضاق بي ذرعاً من أن أضيق به زماني واستكرمتني الكرام"

* * *

"ومن يك قلباً.. كقلبي له يشقُّ إلى العز قلب التوى"

* * *

"وقلبي من الملوك وإن يُرى لساني من الشعراء"

* * *

"أعطى الزمان فما قبلت عطائه وأراد لي.. فأردت أن أتخيّر"

* * * * *

(١) الأنفة أي: الاستكبار والاستنكاف.

"الهجاء"

- لسانك لا تذكر به عورة امريء فكلك عورات، وللناس أعين -
لن آتي كثيراً على "الهجاء"^(١)..، وليس ذلك تغافلاً بل قصداً^(٢).
لأنني أحترز من الهجاء -عموماً- لذمه من لدن المشرع سبحانه
وتعالى،.. هذا أولاً.^(٣)

كما قال صلى الله عليه وسلم - لمن سأله: وهل نحن مواخذون على ما
نقول - ب: ثكلتك أمك، وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا
من حصاد ألسنتهم، والحديث الآخر:
(ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء).^(٤)

(١) .. أو على حد وصف أحدهم ب: أنه (التصوير السخري الحاد).

وهو/ التحريج الشخصي، أو: قضاء العاجز، وسلاح المُفسد - كما قيل
(٢) - قال زهير بن أبي سلمى:

وكانت ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلّم
لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم -
(٣) .. فهل يُعقل مثلاً: أن نأخذ منه - أو من تجربته - هذا المبنى.. بهذا المعنى:

ومن عرف الأيام معرفتي بها وبالناس روى رحمه غير ظالم
أو قوله:

فلم أرَ وُدَّهُم إلا خداعاً ولم أرَ دينهم إلا نفاقاً
لكن الأحسن من هذا التحريج، قول المعري:

جربت دهري وأهليه، فلم ترك لي التجارب في ودّ امرئ غرضاً
(٤) .. قال صلى الله عليه وسلم (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)

-...

ثانياً/ لأنه يعتمد أو يُبنى صيغته على التجريح الشخصي^(١) الذي قد لا يكون للمرء - المذموم - حولاً ولا طويلاً بوصمها.. كالعرج، أو العمش.. إلخ.^(٢)

-...-

- وقد قال يحيى بن معاذ رحمه الله:

ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين، إحداها: إن لم تنفعه، فلا تضره، والثانية: إن لم تسره فلا تغمه، والثالثة: إن لم تمدحه فلا تذمه.
.. وكان الفضيل بن عياض، إذا اعتدى عليه شخص بالشتم والسباب رنح كفه مبتهلاً وقال: "اللهم إن كان كاذباً فيما رماني به فاغفر له، وإن كان صادقاً فاغفر لي". هذا السلوك الرائع الواجب قوله.

^(١) ألا تستصبح منه ذائقة القارئ حين يقول عن كافر وحاشيته:

إنني نزلت بكذابين ضيفهم
عن القرى وعن الترحال مصدود
ثم يوجه - لمُضيفه - هذه التبرة.

جوعان يأكل من زادي ويمسكني
لكي يُقال عظيم القدر مقصود
... وهذا التهكم الواضح - .. الفاضح مقصده - :

ولا توهمت أن الناس قد فُقدوا
وأن مثل أبي البيضاء موجود

^(٢) قال شاعرنا في أحدهم - وقد كانت إحدى عينيه مفقوءة -:

يا بن "كروؤس" يا نصف أعمى .. وإن تفخر فيا نصف بصير!
.. أما خلق الطباع - وهي غالباً - مكتسبة - .. قال أحدهم مُداعياً:

و "ثقيـل" ما برحنا
غاب عنا.. ففرحنا
نتمنى البعد عنه
جاءنا أثقل منه

.. وغير هذا.. الكثير!

ولا يخفى على المطلع على ديوان شاعرنا، ما سكب - بزعمه - على المولى الإخشيدي

-...-

ثالثاً: لأن معظمه مُبالغات وتكبير لصغير.. خفي، أو لعداوات^(١).. ليس ورائها تأصيل.. يُجيز الخوض فيها.^(٢)

على أن لكل قاعدة استثناء، فلن أضمر ما يوّد المداد.. من نفثٍ لجميل.. عتابه للأمة.. - بعد.. ويلات^(٣).. لقيها-

بكل أرض وطتها أممٌ تُرعى بعد كأنها غنم^(٤)
..، قال - غيره^(٥) - بنفس النفسية التي لدى الشاعر.. أو قياساً/

"كافور"، لكن يذبّ عنه، ويجلّي عن زيفه، قول د. غازي القصيبي (ما تقدم هامش ٢ ص ٤١):

..لكن هو الشعر يفعل ذلك في الشاعر أو ما يستدرجه إليه هواه، وما تمليه عليه أمانيه!
^(١).. وكان المرء يحتاط.. على لسان الشاعر نفسه:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصي فهي الشهادة لي بأنني كامل^(٢)
^(٢) وكان الأديب (محمود شاكر - رحمه الله -) قد أجاز للشاعر نقد - أو هجاء - مصر .. وأهلها في عهد كافور، وأطرّ لذلك "الجواز" في استرسال - انظر في / سيره ص ٣٥٠ -

واستشهد بذلك في أبيات للقاضي التنوخي الكبير.. مطلعها:

تركنا بأرض مصر كل قدمٍ له باع يقصر عن ذراع
نفوس لا تليق بها المعالي وأخلاق تضيق عن المساعي

..إلا أنني أعتبر ذلك.. مما تمليه العاطفة التي لديه للشاعر.. -وحسب هذا الاعتذار.. من حجة -

^(٣) ألم يعتب (شاعر النيل) على أمة - بلده - في ساعة ألم.. ونضوب الأحلام، صدر منها..

فما أنت يا مصر دار الأريب ولا أنت بالبلد الطيب

^(٤) قال عمر أبو ريشة رحمه الله - موازياً (من البيت) بين تلك الحال وحال اليوم -:

أمتي.. كم صنم مجدته لم يكن يحمل طهر الصنم

مما يُزهدني في أرضٍ "أندلس" تلقيب معتضد^(١) فيها، ومعتمدٍ..
.. ألقاب مملكة في غير موضعها كاهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد^(٢)



...-

(٥) ابن رشيق القيرواني

وتعليقاً على مثل هذا - السلح - ، قال ابن سعيد (ت ٦٨٥هـ):
(كان ولاية بني أمية في نهاية من الانقياد للحق لهم أو عليهم، وبذلك انضبط لهم أمر الجزيرة،
ولما حرقوا هذا الناموس كان أول ما تهتك أمرهم.. إلى أن وقعت الفتنة.. فظهرت ملوك
الطوائف واستبدوا. حتى.. أصبح توّبهم على السلطنة مصدر إلهام الشعراء!!).
(١) ..أي: المعتضد/ عباد بن محمد بن عباد (٤٠٧-٤٦١هـ).

(٢) وقد ردّ ابن اللبّانة على أبيات ابن رشيق القيرواني هذه، بأنه "كلب عقور نبح" بهذا.
..مدافعاً عن آل عباد، ضمن كتاب ألفه فيهم سماه "الاعتماد في أخبار بني عباد".
- (لافتة...):

..تُرى أكان الإسلام "غريباً" في الأندلس^(٣)، ولم يُمنح فيه إلا "جواز عبور مؤقت"
ليرحل فيه إلى دويلات ملوك الطوائف، أو ما تسميهم المصادر الأسبانية استخفافاً
بهم "ملك" (Reyezuelo) وهو مصغر تحقيري للكلمة (ملك) (Rey).

- وقد ورد في كتاب (نفع الطيب) للمقري:

لم يبقَ للجورِ في أيامهم أثرٌ إلا الذي يعيون الفيسد من حور -
(*) قال أبو البقاء صالح بن شريف الرندي - رثياً ضياعها من المسلمين .. ، في مطلع وعظي حكيماً - :

لكل شيء إذا تم نقصان فلا يُغفر بطيب العيش إنسان
..هي الأمور كما شاهدتها دولٌ من سرّه زمن..، ساءته أزمان

"الحُسَاد" (١)

(وعداوة "الشعراء" بئس المقتنى) (٢)

.. ولم لا تكون - عداوة الشعراء - بئس المقتنى ..

فإذا مرّ بأذني حاسد كان ممن كان حياً فهلك (٣)

ولعل من أسباب قوله - في رحاب سيف الدولة -:

سيعلم الجمع ممن ضمّ مجلسنا بأنني خير من تسعى به قدم

.. تكاد خلف تلك الذاتية التي تطرقنا لها، لا يكون سببها - أو باعثها -

(١) .. للإنصاف: نقول (المنافسون)؛، فالحسد له داع - كقول الشاعر:

حسدوا الفتى، إذ لم ينالوا معيه فالقوم أعداء له وخصوم -
.. لكنه غير الذي نسبت عنه (هنا).

لأن الحسد - الذي قيل فيه: العجز عن المنافسة - هو: اغتنام الحاسد وقت سرور
المحسود.

(٢) وصدر البيت: ومكايد السفهاء واقعة بهم.

(٣) يُذكر أن جرير حين تعرّض له الراعي النميري (*) - بالقصة المعروفة - سهر كل

الليل.. في تجميع لمعنى يهجو به..، فلما أن توصل إلى:

ففض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت.. ولا كلاباً

فزّ قائلاً.. /قتلته ورب الكعبة - ومُدركٌ من المعنى المراد من وراء هذا.

وهذا ما عناه المتنبّي بمقصد جرير.. حين أنشأ - البيت الشاهد -

- (*) (أبا جندل).. وذلك بقوله/ خزانة الأدب (١/٣٤):

يا صاحبي دنا الأصيل.. فسيرا غلب الفرزدق في الهجاء جريراً -

"الغرور وحده"، بل حُسَّاد هذا الشاعر^(١).. فكأنه يراهم حتى وهم في مخابئهم...، حتى ليقول:

إنني، وإن لمت حاسدي فما أنكر أني عقوبة لهم
و.. لقد عانى المتني من حساده الكثير:

أرى المتشاعرين غُرِّوا بدمي^(٢) ومن ذا يحمّد الداء العضالاً
.. كما عانى من طوارق الأحداث الكثير:^(٣)

أظمتني الدنيا فلما جتتها مُستسقياً... مطّرت عليّ مصائبها
وكما ذاق من مصائبه البلاوي:

أذاقني زمي بلوى شرقت بها لو ذاقها ليكي ما عاش وانتجبا^(٤)

(١) .. قال لسيف الدولة.. مُجاهراً:

أزل حسد الحساد عني.. بكتبهم فأنت السدي صيرتهم لي حَسَداً
(٢) .. "الحسين بن الحجاج البغدادي" الذي قال فيه:

يا ديمة الصفح هني على قفا المتني
ويا قفاه تددني واجلس قليباً بجنني
.. إلخ هذا النظم (الوضع)

(٣) .. ولا نستغرب منه.. حين يُخاطب "الحمي" التي رابته في مصر.. بقوله:

أبنت الدهر عندي كسل (بنت) فكيف وصلت أنت من الزحام
.. أي/ إن المصائب أحاطتني من كل جانب فما المنفذ الذي من خلاله.. وصلت!!

(٤) مما جعله ييوح - تألماً - عمّا يُخالجه:

لم يترك الدهر من قلبي ولا كبدي شيئاً تيممه عين ولا جيد
يا سابقتي أهرّ في كؤوسكما؟ أم في كؤوسكما همّ وتسهدا
-...

فقد ذاق من خداع ونفاق:

فباني قد أكلتهم وذاقا^(١)
ولم أرَ دينهم إلا نفاقا

إذا ما الناس جربهم ليب
فلم أرَ ودهم إلا خِدا عا
إذا: لنعرف هذا "المحسود":

وسمام العدى، وغيظ الحسود
ه، غريب كصالح في ثمود

"أنا" تُرب الندى، ورب القواي
أنا في أمة تداركها اللـ
أو هكذا وُلد.. في:

وإن كانت لهم جثث عظام
مرّ بإحدى تنقلاته - الكثر - بأرضٍ تُسمى (قنسرين) ثم قال - حين

(دهر).. ناسه ناسٌ صِغارُ
سمع زئير أسد -:

فتسكن نفسي،.. أم مهان فمُسلم؟^(٢)

أجارك يا أسد الفراديس مُكرم؟

...

هذي المدام، ولا هذي الأغاريدا
أني بما أنا شاكٍ منه محسود
.. أنا الغني.. وأموالي "المواعيد"

أصخرة أنا؟^(*) مالي لا تحركني
.. ماذا لقيت من الدنيا.. وأعجبه
أمسيت أروح مثر خازناً ويداً
^(*) من معنى طرقة أحمد شوقي بـ:

أبين فؤاده والصخر.. فرق؟

- سَلِي مَنْ رَاعِ^(**) غَيْدِكَ بَعْدَوهن -
^(**) أي: أدخل الروع إليه.

^(١) .. وهذه مبالغات مُستقبحة.. في ذائقة القارئ "المسلم".

^(٢) .. ولا يُشابهه إلا قول (الأحيمر السعدي) - في عهدٍ ضاعت به إنسانية الإنسان -:
عوى اللذب فاستأنست باللذب إذ عوى وصوت إنسان .. فكادت أطمير

قال عبد الله اليردوني - موضحاً:

...

ورائي وقْدَامِي عُداةٌ كَثيرةٌ أحاذر من لصٍّ ومنك.. ومنهم
..، كما نفس عن مكنون ما.. يتجرّعه:

والهَمُّ يَحْتَرِمُ الجَسِيمَ خِفاةً ويمسّ ناصية الصبي فيهرم
لا يَخذُ عَنكَ من عدوٍّ دمعهُ وارحم شبابك من عدوٍّ، تُرحم
ثم يفيض من غيظ ما يجد:

لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى حتى يُراق على جوانبه الدم^(١)
يؤذي القليل^(٢) من اللثام، بطبعه من لا يقلّ كما يقل ويلوم
.. ومن البلية عدل من لا يرعوي عن جهله،^(٣) وخطاب من لا يفهم!
.. فلا يدع مناسبة تخمره بهمّ إلا وأجلى عن مدى صبره وقوّة عزيمته^(٤)
- كي تتولّد داخله.. فتجاري حوادث عمره، أو تغلبها -^(٥)، على أن
أكثر ما يُعرّفنا بذاتيته "رثاؤه جدّته":

...-
قالوا هم البشر الأرقى وما أكلوا شيئاً كما أكلوا الإنسان أو شربوا
^(١) قال أمير الشعراء - من نفس هذه الروح الجبارة -:

إن البطولة أن تموت من الظمّ ليس البطولة أن تغبّ الماء
- وانظر لقول عنزة هاشم (٢) ص ٧٩ -
^(٢) القليل: أي الخسيس.

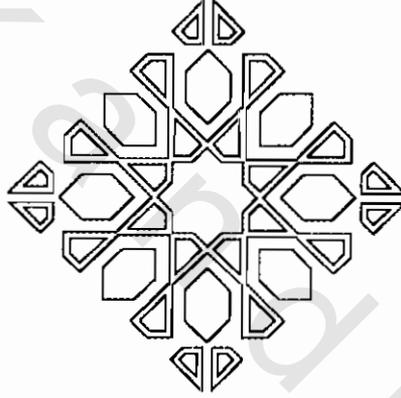
^(٣) وفي رواية / عن غيبه.

^(٤) .. كقوله: أطاعن خيلاً من فوارسها الدهر

^(٥) .. واقرأ إن شئت قصيدة: أفاضل الناس أغراض لدى الزمن

لئن لذّ يوم الشامتين بموتها فلقد ولدت مني لأنفسهم رغما
ويختم حديثه إليهم^(١):

ألا ليست الحاجات إلا رؤوسكم وليس لنا غير السيوف وسائل
ويعود فيعرّي عن إبهام ماردٍ استيفاء الحاجات - أو ردع الحساد - :
من اقتضى بسوى الهندي^(٢) حاجته، أجاب كل سؤال عن هل.. بلم!



(١) .. أي للحساد.

(٢) الهندي: السيف.

"الحكمة": (١)

...وتعني - كما شرحها محللوا الكلمة - : (المعرفة وعلم الاطلاع والإدراك)
أرى كلنا يبغى الحياة لنفسه حريصاً عليها مستهماً بها صبا^(٢)
فحب الجبان النفس أورثه الثقى وحب الشجاع النفس أورده الحربا
، .. ويعطف.. إلى هذا "التقرير" - المدرك :-

(١) .. يقول الدكتور مرزوق بن تنباك (كان حظ المتنبي - الشاعر - عظيماً من هذا- أي
الحكمة - .. حظاً لا يُدفع، فما ترك سلوكاً أو خلقاً إلا قال فيه مثلاً يُذكر، كلما
عنت مناسبة تستثير الإحساس بوصف أعمال الناس وأخلاقهم) - اليمامة. عدد:
- (١٢٣٨)

(٢) قال الراوية "أبو بكر الخوارزمي": أمير شعراء العصر (أبو الطيب المتنبي).. ولو لم يكن
له غير هذين البيتين لكفياه، .. وقد تمنى بعض الشعراء - الأقدمين - أن يكون لهم
هذان البيتان بشعرهم كله.

ولنا أن نقول بعدها: سامح الله من تتبع سقطاتك (واقعاً على الجروح)، والتي لا توازي
جناح بعوضة، من إجمال ما تركت! - انظر ما تقدم ص ١٧ مع الهوامش ١/٢/٥ -

فما نرى في خبايا مجمل تلك المتابعة - للسقطات - : إلا غمراً ولمزاً، أو تشفياً..!!

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما - حين أننى على شعر الخطيئة - :

ما تشاء أن تقول في شعر شاعر من عيب إلا وجدته، وقلما تجد ذلك في شعره، وقال عن

النايعة (لكن الضراعة أفسدته، كما أفسدت جرولاً - أي، الخطيئة -)

- أما صاحب كتاب "سرقات المتنبي" فيكفي للرد عليه قول شاعرنا (خزانة الأدب

:- (١/٣٨٣)

الشعر جادة، وقد يقع حافر على حافر.

سُبقنا إلى الدنيا فلو عاش أهلها معنا من جيئة بها.. وذهب
تملكها الآتي تملك سالب وفارقها الماضي فراق.. سلب
(أثرت حكم المتنبي - أو لنقل شعره عموماً - المعرفة العربية والإسلامية
والإنسانية إلى درجة عالية، لم يصل إليها أيُّ شاعر آخر،^(١) فالخاصة
والعامة يحفظون له.. ما يعينهم على مواجهة الحياة..^(٢) فإن رأوا مالاً
آل إلى آخر بسبب مصيبة حلّت بصاحبه.. تمثّلوا بقوله: "مصائب قوم
عند قوم فوائد".

وإذا عرف الإنسان قيمة الكتاب ذكر قوله: "وخير جليس في الزمان

^(١) قال القاضي/عبد الرحمن البياني: (إن أبا الطيب ينطق عن خواطر الناس).

- وقد قيل:

إن الكلام لفي الفؤاد، وإنما جُمِل اللسان على الفؤاد دليلاً -
ثم قال الراوي - معقّباً - أي والله ينطق ألم يقل:
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له.. ما من صداقته بدأ!
.. ربما لأنها - أي حكمه... كما يقول أنيس المقدسي - (دقيقة المعرفة بحوادث الزمان
صائبة النظر في عواطف الإنسان..).

^(٢) .. كتب الأديب بدر المطيري: (حكم المتنبي/ حقائق لا شك.. وقد تكون في جانب
كثير منها بسيطة.. ومعروفة، لكن "الشاعر الكبير" نفث فيها من روحه وموهبته
الخلّاقة.. فكانت كالسحر الذي يقلب حياتنا رأساً على عقب، كمثل فلسفته
لحقيقة "الموت":

وما الموت إلا سارق دق شخصه يصول بلا كف ويسعى بلا رجل
ف "الموت" كالسارق: يأخذنا على حين غفلة - أو غرة ولا نراه - الجزيرة عدد ٩٣١٤ -

كتاب" وإذا حز بالإنسان أمر ولم يجد المساعد ذكر قوله: "إذا عظم
المطلوب قلّ المُساعد" .. إلخ..^(١))

.. كان لرصيد المتنبّي^(٢) من اللغة والثقافة^(٣) والتجربة^(٤) .. والترحال؛ ما
جعله يمازج ويزاوج بين بعضها بعضاً، ليخرج لنا بهذا التزاوج -
والامتزاج - الأبيات النادرة^(٥) كدرر من جوف صدف في بحر عميق.^(٦)
وهذا ما جعله "ينبؤ" باللغة، ويعلو بالشعر..، ويسمو بالحكمة:^(٧)

(١) بتصرف.. د. عبد العزيز الفيصل - الجزيرة عدد ٩٣٣٧.

(٢) وأكد تقرير (سهيل عثمان ومنير كنعان) - المحصول الفكري للمتنبّي/ص ٣٢٥ - ب:
(و.. ليست العبرة هنا بكثرة الاطلاع والحفظ، بل بالقدرة على الاستعادة الملائمة
للمناسبة، فكم من الناس قرأوا وحفظوا أكثر من شاعرنا، ولكن ذاكرتهم ظلت
ضئيلة عليهم برصيدها.. إلخ).

(٣) .. انظر للمزيد عن مدى ثقافته كتاب الفن ومذاهبه ص ٣٠٩ و ص ٣١١ -

إيضاح/ ورد في القاموس - تحت مادة (ث ق ف) في أحد معانيها أنه ليس مجرد اكتساب
المهارات اللازمة في الحياة البشرية وحسب، ولكن الحدق فيها أيضاً.
أي... بمعنى: الأخذ من كل فن بنصيب.

(٤) قال "برناردشو":

يكتسب الرجال الحكمة لا بنسبة تجاربهم.. بل بقدرتهم على التجربة.

(٥) .. قال د. محمود الربداءوي: "المعروف أن خير شاعر نطق بالحكمة هو المتنبّي... - مجلة

الفيصل عدد (٢٩٩) -

(٦) إذ كان يأتي بالحكمة بالبيت وحده، أو الصدر، أو نصفه أو..

(٧) مما.. جعل الصاحب بن عباد يولف رسالة لفخر الدولة بن بويه، جمع فيها من شعر أبي
-...

لم يُبقِ الدهر من قلبي ولا كبدي شيئاً تميمه عين.. ولا جيداً^(١)
 .. ولكنها - أي حكمه - .. "تكاد تكون حمراء تقطر دماً"^(٢).
 على أن الذائقة - العفيفة - لا تُحيز له.. هذا الحكم - عفواً أقصد النظم -
 والظلم من شيم النفوس^(٣) فإن تجدد ذا عفة.. فلعللة^(٤) لا يظلم^(٥)

...-

الطيب زهاء ثلاثمائة وسبعين بيتاً تجري بحرى الأمثال قال في مقدمتها: (وهذا الشاعر مع
 تميزه وبراعته وتبريزه في صناعته، له في الأمثال خصوصاً مذهب يسبق به أمثاله).
 ويضيف د. شوقي ضيف قائلاً: لعلنا لا نغلو إذا قلنا إن المتبني استطاع مع كل ما رأيناه عنده
 من ضروب تصنع مختلفة أن يخلق في أسنى أفق الشعر العربي - الفن ومذاهبه ص ٣٢٦.
 (١) - .. انظر تمام الأبيات، فيما تقدم ص ٩٣-٩٤ هامش (٤) -
 (٢) على وصف الأديب "أنيس المقدسي" .. - أمراء الشعر العباسي ص ٣٥٤ -
 .. ولا نعجب أن يجعل "ابن رشيق" من أهم مزاياه (الأمثال.. وذمّ الزمان) - العمدة/
 ص ١٩٤-، ثم يضيف مكرراً: ومن أكثر من شيء عُرف به.
 (٣) .. لا ليس من شيم النفوس - أو طبائعها - بل مساوئها.. قال تعالى في الحديث القدسي:
 "يا عبادي إنّي حرمت الظلم على نفسي.. وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا" - الحديث..
 وقد حذر المصطفى صلى الله عليه وسلم من الظلم بقوله: "اتقوا دعوة المظلوم.. فإنه ليس
 بينها وبين الله حجاب" .. أو كما ورد.
 (٤) والعلة قصد بها "الرادع" كالدين .. الذي حرّم الظلم، أو الغنى أو الخوف من
 السلطان، أو حتى الزهد بما لدى الآخرين.. إلخ.
 وربما الأحسن للفترة من تعليقه، قول الفلاسفة/ إن النفوس تركت الشهوات البهيمية
 طبعاً.. لا خوفاً.

(٥) .. وقد يكون أخذ "البيت" من حكم زهير بن أبي سلمى:

ومن لم يلد عن حياضه بسلاحه يُهَدَم، ومن لا يظلم الناس يُظلم
 .. قال - غيره -
 وأحياناً على بكر أخينا ... إذا لم نجد إلا أخانا
 -...

قال تعالى: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾^(١) إنما يجب أن لا يوافقى ذا "الحلم" لغير من يقيم... - حتى لا يظن ذلك ضعفاً^(٢):

ولا خير في حلم.. إذا لم تكن له بوادرُ تحمى صفوه أن يكدر^(٣) -
ثم هذا التنظير:

ولم أرَ في عيوب الناس شيئاً كنقص القادرين على التمام^(٤)
وسوى هذا العيب دونه أو أدنى...
وكيف ينتفع بنظره من استوى عنده الليل والنهار:^(٥)

...

إذ.. هذه حالهم، وما انتهى إليه تدبير عقولهم.

فلأن عُذر "زهير" - وغيره - لأنه جاهلي، وهذه مقومات الحياة لديهم، .. فما هو عُذر شاعرنا - ربما الحالة السياسية.. في عهده!! كما تقدم عنها ص ٢١ -

^(١) سورة آل عمران، آية ١٣٤.

^(٢) ف... في المثل: (قد يُدفع الشر بمثله، إذا أعياك غيره)

كما قال الشاعر:

وبعض الحلم عند الجهل للدلة إذعان ولي (الشر) نجاة.. حين لا ينجيك إحسان

- قال أحمد شوقي (في / نهج البردة):

والشرُّ إن تلقه بالخير.. ضقت به ذرعاً، وإن تلقاه بالشر ينحسم

^(٣) النابغة الجعدي - رحمه الله -

^(٤) قيل إن "شارل ديغول" - الزعيم الفرنسي - أمر بكتابة هذا "البيت" على البارحة التي

تتقدم الجيش.

^(٥) ..يضرب المولى حل جلاله.. مثلاً فيمن ضلّ بعد هُدَى أتاه: ﴿ذهب الله بنورهم

...

وما انتفاع أخي الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوار والظلم
بالطبع لا ينتفع بنظره عند هذه الحالة!
بل لديه من الحكم الدُّر، نَعْرَضُ بعضها.. ونُعْرَضُ لبعضٍ منها:
- هذه الحكمة البالغة -

وليس يصح في الأفهام شيء^(١) إذا احتاج النهار إلى دليل
وقوله لسيف الدولة الحمداني:
لعل عتبك محمود عواقبه
لما..؟!!

فربما صحّت الأجسام بالعلل
- وهذه الحكمة شطر "بيت" .. -
بل قالها بنصف الشطر:
فالموت أَعذر لي والصبر أَجمل بي
والبر أوسع.. "والدنيا لمن غلبا"^(٢)
وتعبيره.. هذا:

إذا أتتكَ مذمتي من ناقص^(٣) فهي الشهادة بأني كامل
-...-

وتركهم في ظلمات لا يبصرون ﴿ - سورة البقرة، آية ١٧ -
(١) قال الإمام علي بن حزم الظاهري رحمه الله - ت ٤٥٦ - بعده:
وأثبت ما يكون الأمر يوماً بلا شك.. إذا صح الدليل
(٢) استفاد أحمد شوقي.. من (المعنى.. والمبنى) لـ ينظم - حكمته -:
وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا
(٣) ..وأثرى هذا المراد "أزأك" بقوله: (إن نقائص العلماء.. هي عزاء التافهين!)

و.. قوله يصف أم سيف الدولة - وهو يرثيها -:

ولو كان النساء كمن فقدنا
لفضلتُ النساء على الرجال
.. وما التأنيث لإسم الشمس عيبٌ
ولا التذكير فخرٌ للهلالِ

ونشره من سناء الحياة.. لمن:

تصفو الحياة لغافل أو جاهل^(١)
ولمن يخالط الحقائق نفسه
عما مضى منها.. وما يتوقَّعُ
ويسومها طلب الخيال.. فتطمعُ
أو كجميل تبدّعه.. هذا:

ومن نكد^(٢) الدنيا على الحرّ أن يرى
عدوّاً له ما من صداقته^(٣) بدُّ^(٤)

(١) قال تشيكوف: "كلما ازدادت ثقافة المرء.. ازداد بؤساً".

و.. قال "مثل": (إن الإنسان الذكي أتعسُّ حالاً من الذين أقل ذكاء..!).

كما قال شاعرنا:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة بالشفقاوة ينعم^(*)
وقد قال أيضاً:

ومن تفكر في الدنيا ومهجه
أقامه الفكر بين العجز والتعب
- (*) كان النجفي يقول:

ويا ليت للجهل (العميم) مدرّساً
ليُرجع لي جهلي، فأصبح كالطفل
بليت بعقل جامع، لي متعب
يفتش عن وعر، وينأى عن السهل
تمنيت، مسجناً للعقول لألتجى
له.. فبسجن العقل حرية الطفل -

(٢) النكد: قلة الخير.

(٣) .. لكن تصحيحاً الواجب أن يقول: ما من مداراته، إذ الصداقة تنشأ عن تبصّر
بالخليل، أما المداراة فهي دافع - أو غطاء - لحاجة تقضي بانقضائها، ويسند ذلك ما
-....

ونستطيع أن نقول - إذا رغبتنا التصنيف - أن هذا البيت.. من حكمه
الخاصه. (١) .. ك:

-...

ورد في الأثر (إننا لنبش في وجوه أقوام، ولنلعنهم في قلوبنا).

(٤) - من قصيدة في مدح (محمد بن سيار التميمي) - وكأنه أهم القائل...:

ومن نكد الأيام أن يبلغ المنى أخو اللؤم فيها، والكريم يخيب
(١) لأبي الطيب حكم "خاصة" تحذرت من نفسيته، ومن تعمقه بالذات، ومن تجارب
ومحاكاة لمسها فسلسل برويها بديع سبكه، مثلاً - وقد أسلفناها -
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً ليس له من صداقته (*) بد
فهي - هذه الحكمة - تلمس جزء من ذاتيته الشائخة، وما أحاجته لهذا النظم.
أيضاً.. /

ومن البلية عدل من لا يرعوي عن غيبه، وخطاب من لا يفهم
أو - وهذه أنكاء للمرارة -

ولا تزال قلة الإنصاف قاطعة وهذا "التحذير":
بين الرجال، ولو كانوا ذوي رحم

لا يفرك من عدوك دمعاً وهذا "التنبيه":
وارحم شبابك من عدو ترحم

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يتسم
- والأجل.. سابقه:

ذو العقل يشقى بالنعيم بعقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعم -
... ومثله

لولا العقول.. لكان أدنى ضيغم - الضيغم/ الأسد -
أقرب إلى شرف من الإنسان

-...

ومن العداوة ما ينالك نفعه ومن الصداقة ما يضر ويؤلم^(١)
.. وهذا "التذكير":

وما ماضي الشباب بمسردٌ ولا يوم يمرّ.. بمستعادٍ
بل.. هل هناك أجملُ إجمال.. من هذه:

ذكر الفتى عمره الثاني، وحاجته ما قاته..، وفضول العيش اشغال
..أو هذا المنتهى الذي صدره.. من ذاق الأمرين:

أعزُّ مكان في الدنا سرج سابح^(٢) وخير جليس في الزمان كتاب^(٣)

-...-

.. وهناك أمثلة يصعب الإتيان على جلّها، لكنها - وهذا القصد - علّمت في شعره
(الحكيم بالذات) كما علّم بها عطاء ذا المُتفنّن في أسلوبه، ونتاج قريحته، وسجية
ملكته.. إغناء ل.. "ديوان العرب".

^(١) قال (وليم بلايك): غالباً ما آلتني صداقتك..، فكن عدويّ باسم الصداقة -

^(٢) سرج سابح/ يقصد ظهر الجواد. (كناية: عن خوض الحرب)

^(٣) .. وقد سبقه أبو عمرو "الجاحظ" - في كتابه/ الحيوان - ت ٢٥٥هـ - في نشر حكيم
عن هذا.. الـ"خير جليس":

(..والكتاب وعاء مليء علماً، وظرف حشيّ ظرفاً، وبستان يحمل في ردن، وروضة تقلب
في الزهر، ينطق عن المولى، ويترجم كلام الأحياء، ولا أعلم جارا أبرّ، ولا خليطاً
أنظف، ولا رفيقاً أطوع ولا معلماً أخضع، ولا صاحباً أظهر كفاية، وأمل حناية، ولا
أمل إملالاً وإبراماً، ولا أقلّ خلافاً وإجراماً، ولا أزهر في جدال، ولا أكف عن قتال
"من كتاب"...)..

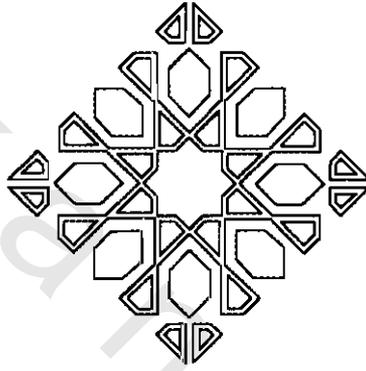
وقال (د. علي الطاهر): (الكتاب متعة.. والحديث عن الكتاب متعتان!)

..قال الشاعر:

-...-

..حتى ليخلص إلى:

حتى رجعت وأقلامي قوائل لي: المجد للسيف ليس المجد للقلم
ولعل القارئ يستزيد في الرجوع لديوان الشاعر المليء بين دفتيه
(حكّم).. لا ينتهي مشربها.



...-
ولي جلساء ما أمسّل حضورهم
يفيدونني من علمهم علم ما مضى
فلا رقية أخشى ولا سوء عشرة
فإن قلت: أحياء فلست بكاذب

- مترجعاً - : واختصاراً نروي اعتراف شوقي.. حين قال:
أنا من بدّل بالكتب الصحابا فلم أجد صاحباً مثل الكتاب